

# مركز جيهاد الليبيين للدراسات التاريخية

العددان السابع والثامن لسنة 1992 - 1993

العددان السابع والثامن لسنة 1992 - 1993



1992 - 1993



# النظرات الإصلاحية للشيخ علي أمين سيّالة من خلال أعماله

مقدم الورقة: عبد الستار العريفي بشّيه

الأخوة الفضلاء الأخوات الفضليات:

(السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته)

قبل أن أبدأ حديثي أود أن أتقدم بالشكر لمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية لما يقدمه ويقوم به من أجل تدوين تاريخ ليبيا الثقافي والاجتماعي وعلى رأس هذا المركز د. محمد الطاهر الجراري. أما موضوعي فقد اقتطعته من دراسة مطولة عن الشيخ علي أمين سيّالة تدور حول (حياته وآثاره).

وعنوان بحثي:

(النظرات الإصلاحية للشيخ علي أمين سيّالة من خلال أعماله)

في أول حديثي عن الإصلاح يعاودني بيت من قصيدة طالما رددتها الصوفية في اجتماعاتهم ونكساتهم، وهو بيت من قصيدة المنفرجة لابن النحوي التوزري والبيت هو: -

(وخيَارُ الخلق هُدَاتُهُمْ / \* / وسواهُمْ مِنْ هَمَجِ الهَمَجِ)<sup>(1)</sup>.



لقد شهد العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حركات إصلاح في شتى المجالات الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والعلمية، ولمعت في سماءه نجومٌ منيرةٌ يُهتدى بها، مناديةٌ بالإصلاح من حال المجتمع الإسلامي والعربي؛ الذي بلغ فيه الانحطاط والركود في العقول والأفكار إلى الحضيض، لسوء إدارة الدولة العثمانية في البلاد العربية لمدة لا تقل عن أربعة قرون من الزمان، تدهورت فيها أمور الولايات، مما أدى للتدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية ومن ثم احتلالها، ومن تلك الأسماء التي لمعت الأستاذ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده في مصر<sup>(2)</sup>، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس<sup>(3)</sup>، ومحمد بشير الإبراهيمي في الجزائر<sup>(4)</sup>، أما في ليبيا فكان الشيخ محمد كامل بن مصطفى (1828 - 1897م)<sup>(5)</sup> هو رائد التفكير الإصلاحية بها، الذي تخرج على يديه أكبر شيوخ هذه البلاد وأدباؤها أمثال: الشيخ عبد الرحمن البوصيري، والشيخ إبراهيم باكير، والشاعر مصطفى بن زكري وغيرهم<sup>(\*)</sup>.

ومن المرجح أن يكون الشيخ علي أمين سيالة أحد تلاميذ الشيخ بن مصطفى، أو يكون شيخه بشير الهوني أحد زملاء الشيخ ابن مصطفى أو تلميذه.

وهذا الترجيح راجع لقريضة لدينا أن الشيخ علي أمين سيالة ذهب لتحصيل بقية العلوم في مساجد طرابلس في سنة (1871م) تقريباً، وهو الوقت نفسه الذي كان الشيخ ابن مصطفى يدرس بمساجدها.

لقد كان الشيخ علي أمين في نظرته الإصلاحية النابعة من قلب مؤمن، وأحاساس صادق، مملوء بالتقوى، والإيمان، والمحبة،



والإخلاص، لدينه، ووطنه، وأمته؛ نظرة موفقة لأبعد الحدود، وآثاره  
الباقية دليل على ذلك.

ومما أخبرني به بعض المعاصرين للشيخ قاتلاً: «إن في  
طرابلس شخصيتين، كان لهما أثر بالغ في إصلاح الحياة الدينية  
والاجتماعية الواحد تلو الآخر؛ وهما الشيخ علي أمين سيالة، والشيخ  
عمر العربي الجنزوري»<sup>(6)</sup>.

ومما سمعته عن أ. إسماعيل السويح طيب الله ثراه قوله عن  
الشيخ علي أمين «لقد كان الإصلاح ديدنه»<sup>(7)</sup>.

وما من مصلح أراد الإصلاح إلا ولقى صعوبات تواجهه في  
طريقه المراد، فمنهم من يتمكن من تجاوز (تلك) الصعوبات، ومنهم  
من يفشل، والشيخ علي أمين سيالة أحد الذين تغلبوا على تلك  
الصعوبات.

لقد لقي الشيخ علي أمين معارضة من بعض أفراد الزاوية  
القادرية في بداية أمره لمنعه استعمال الدفوف وغيرها، ولكن بصبره  
وعقله وتفكيره السديد بلغ ما يريد.

أما شيوخ البلاد فكان (بعضهم) غير موافقين له على طريقة  
تعليمه للعوام، والتزامه في تعليمه طريقة الشعر التعليمي بالألحان  
والأنغام العذبة؛ حتى قال بعضهم مستهزئاً (اقرأ المختصر والرسالة  
وخليك مع ادرايك سيالة)<sup>(8)</sup>.

والسؤال يطرح نفسه متى راودت فكرة الإصلاح أفكار الشيخ علي  
أمين سيالة؟

والإجابة عنه أن الشيخ علي أمين - رحمه الله - كان من  
مريدي الزاوية القادرية وكان غير راضٍ على ما تقوم به الطائفة  
القادرية؛ باشتغالهم بتعلم الألحان وضربهم الدفوف والآلات



الموسيقية، فيأخذ جل وقتهم لغير الله، وهم في حاجة لمعرفة أمور دينهم لكي يكونوا أتباع الطريق الحقيقي، فلما تولى مشيخة الزاوية القادرية سنة (1317هـ) اتخذ منهجاً واضحاً وأفكاره الإصلاحية التي كانت تراوده وهو أحد تلاميذ الزاوية القادرية؛ فأزال الدفوف والآلات، ولم يعبأ برد فعل، أو بلوم لائم من بعض أفراد الزاوية - وهناك قول آخر - أن الشيخ ترك الأمر على ما هو عليه، واتجه في طريق تعليمي جعلهم في الأمر الواقع، فطلبوا منه أن يزيل الدفوف وقالوا: طريقنا طريق علم وفقه - وهذا عندي أقرب.

وطالبهم بالاجتماع كل ليلة بعد صلاة العشاء وفق برنامج تعليمي، يلتزم فيه السهولة والبساطة في جميع جوانبه من الألفاظ المألوفة، والمعاني القريبة، والوقت القصير، واللين في المعاملة، والأخذ بيد كل من جاء ليتعلم أمور دينه من فقه، وعبادات، ومعاملات، ومعرفة الأحكام من حلال وحرام؛ فاجتمع حوله الناس من سائر طوائفها شيباً وشباباً، لينهلوا ويمتاحوا من هذا المنهل العذب الفرات الرائق، والسائغ لشاربيه، فصار منهم أئمة للمساجد، وخطباء على المنابر، ومرشدون ووعاظ.

ومن الزاوية القادرية سلك الطريق للإصلاح الديني والاجتماعي فكانت له فلسفته الخاصة في الإصلاح؛ متخذاً جميع الأساليب والطرق التربوية، وهذا واضح من أعماله المؤلفة من جمع، وترتيب، وتنسيق المادة واقتباساته الجميلة من كتب الفقه والأدب، فيتضح لنا أن الشيخ علي أمين لم يقرر كتاباً معيناً للدراسة؛ كما في المعاهد الدينية والجامعات اليوم، فمن نظراته الإصلاحية من خلال أعماله العلمية والعملية والتي تمثلت في (العقيدة، والدروس الأساسية، وقصائده اليومية، وقصائده التعليمية، ومنظومته أساس الحكم، وقصائده المحورة عن الأغاني؛ وغيرها من آثاره في مجتمعه).



## أولاً - إصلاح العقيدة:

إن أهم علم من علوم الإسلام هو علم التوحيد، فيجب على المسلم أن يكون ذا عقيدة سليمة صحيحة لا تشوبها شائبة، فيعلم ما يحق لله تعالى؛ وما لا يحق من صفات وأفعال لأن من سلمت عقيدته سلم دينه وإيمانه، ومن هذا المنطلق عمل شيوخ الطرق الصوفية لتفهم التوحيد لمريديهم من خلال أحزابهم ووظائفهم بطريقة بسيطة فنى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي<sup>(9)</sup> في حزبه سبحان الدائم<sup>(10)</sup> في أحد فقراته بعد الانتهاء من جزء التوحيد قائلاً: «... فهذه المعرفة، لا يسع جهلها، فعليكم بالتوحيد، فإنه واجب، لا يُعذرُ المكلف في جهله بالتوحيد، التوحيد دين الله ليس في هذا إشكال، الجاهل بالتوحيد لا يوصف بالإيمان، لا يوصف بالإيمان ولو كان عالماً لا يوصف بالإيمان ولو كان عبداً»<sup>(11)</sup>.

فلما كان هذا أمر التوحيد بالنسبة للمسلم، فقد خصه الشيخ علي أمين عناية عظيمة في أهم أعماله منها: ما جاء في الدروس الأساسية للناشئة الإسلامية في الجزء الأول، ويعد ذلك خاصاً للناشئة في المدارس النظامية، أما في عمله الآخر وهو تهذيب (عقيدة الأكابر) وهي لمريدي الزاوية القادرية.

وعندما تتصفح كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية<sup>(12)</sup> الذي أورد لنا عقيدة الغوث الأعظم أولها «الحمد لله الذي كيف الكيف وتنزه عن الكيفية، وأين الأين وتنزه عن الأينية، ووجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية...»<sup>(13)</sup>.

وبعد هذه المقدمة ذكر كثير من القضايا العقدية راداً فيها على الطوائف المسلمة الضالة ثم ينهي العقيدة بقوله «... هدية الحب قد



أصبحت واضحةً جليةً، فيا لها من قوافٍ بهيئةٍ، وعقيدةٍ سليمةٍ على أصول المذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية<sup>(14)</sup>.

فمن يقرأ العقيدة على أصولها الأولى؛ فإنه يحتاج لكثير من المراجع والكتب التي تتحدث عن النحل والحلل، والطوائف الإسلامية، وكانت عقيدة الغوث الأعظم هي إحدى وظائف الطائفة القادرية يتلونها في مجالسهم أين ما حلت الطريقة القادرية وانتشرت، وكذلك الحال في طرابلس الغرب في زاوية أبي ذراع بالهشهر، والزاوية القادرية بالفندقة.

ولما تولى الشيخ علي أمين مشيخة الزاوية القادرية بالفندقة في تلك الظروف الصعبة التي مر بها شعبنا، حيث الجهل المتفشي بين أفراد مجتمعه، نتيجة لإهمال الدولة العثمانية ولاية طرابلس في شتى مجالات الحياة الاقتصادية، والعلمية، والاجتماعية؛ فمما يرويه الشيخ الظاهر الزاوي في كتابه جهاد الأبطال قائلاً: «ولا يوجد فيها شيء من أنواع التعليم الحديث وإلى يوم الناس هذا سنة 1945 لم تنجب طرابلس محامياً حقوقياً، ولا قاضياً قانونياً، ولا طبيباً جامعياً، ولا مهندساً معمارياً»<sup>(15)</sup> وهذا القول يوضح مدى انتشار الجهل وقلة المتعلمين، وبالمقابل كثرة العوام، ومن هذا المنطلق رأى الشيخ أن يبسط تلك المعلومات في صورة جميلة بهيئة ذات أسلوب مرن فيه سلامة وسهولة، ووضوح وعدوبة تحت الجرس الموسيقى السجعي مع صحة في التعابير والانتقاء باختياره الجمل وحذفه غيرها.

فالشيخ يرى أن تلك العبارات لا تزيد المريد علماً وفهماً بل تدخله في مناهات هو في غنى عنها إلا إذا ردها ترديد البيغاء الذي لا يعني ما يقول.

ولم تبق العقيدة حبيسة الزاوية القادرية بل انتشرت بين الزاوية



الصوفية والطرق الأخرى مثل الطريقة العيساوية، وكذلك بعض الكنائس مثل كتاب مدرسة عثمان باشا وكثير من شيوخ الطرق الأخرى مثل العروسية.

ولو لم تكن هذه العقيدة ذات أهمية ومنزلة بين المتصوفة في طرابلس الغرب لما نالت هذا النجاح والانتشار ولم يكن ترتيب وتنسيق العقيدة شيئاً عادياً؛ بل كان من الفتح المبين على الشيخ علي أمين سيالة.

### ثانياً - حلقة الدرس:

لقد انتشر التعليم في مدينة طرابلس عن طريق الحلقات؛ التي تعقد بمساجدها فمنها: حلقات درس ذات منهاج معين مثل: حلقات جامع أحمد باشا وجامع ميزران، وأخرى ليس لها منهج مثل: حلقات الوعظ والإرشاد في بقية المساجد، ولما كان هذا الحال من أساليب التعليم التقليدية.

وعلى المنهاج الثاني قام الشيخ علي أمين بعقد حلقة وعظ وإرشاد؛ يعتمد فيها البساطة في شتى جوانبه فدرسه لا يزيد عن ربع ساعة، وأسلوبه في إلقاء المواعظ؛ من قرب الألفاظ، وقوة المعاني، والإتيان بأمثلة من حياتهم اليومية؛ لكي ترسخ في أذهانهم مستعملاً طريقة خاصة في التدريس، وأغلب ظني أن طريقته كانت الطريقة القصصية، وبها غير سلوك المتعلمين والمريدين في الزاوية القادرية، وليس هذا فقط بل كان لأولئك أثر في غيرهم.

أما موضوعاته التي كان يتناولها فهي مختلفة الاتجاهات فتارة في التوحيد، أو الفقه من عبادات ومعاملات، وأخرى في أصول الدين، وتارة في الأخلاق العامة، وكان المنطلق قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(16)</sup> متخذاً في ذلك الرسول



الكريم مثلاً أعلى الذي يقول «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يتزع من شيء إلا شانه»<sup>(17)</sup>.

ويعد الحديث في أحد المواضيع السالفة الذكر يختم قوله بقصة تحمل بين أحشائها وثناياها الموعظة، والحكمة مع التسليّة، وبهذا يكون الشيخ علي أمين قد فاق أهل عصره في التربية والتعليم في تلك الحقبة، فقد كان عالماً عاملاً، فاهماً مبصراً لما يحتاج المسلم في مجتمعه من علوم.

والسبب الذي فاق به شيوخ عصره أن ظاهره كباطنه وباطنه كظاهره - ولأً أزكيه على الله - فجعل الله في شخصه الهيبة والجلال، ولهذا السبب انتفع به خلق كثير وما زالت أعماله ينتفع بها في المجتمع.

ويصدق فيه قول الأديب مصطفى الرافعي في كتابه (من وحي القلم) إذ قال «الرجل الكامل صواب ينتهي إلى الروح، وهو في تأثيره على الناس أقوى من العلم إذا هو تفسير الحقائق في العمل الواقع، وحياتها عاملة مرتبة داعية إلى نفسها، ولو أقام الناس عشر سنين يتناظرون في معاني الفضائل ووسائلها، ووضعوا في ذلك مائة كتاب، ثم رأوا رجلاً فاضلاً بأصدق معاني الفضيلة وخالطوه وصحبوه، لكان الرجل وحده أكبر من تلك المناظرة وأجدي على الناس منها وأدل على الفضيلة من مائة كتاب ومن ألف كتاب»<sup>(18)</sup>.

### ثالثاً - حلقة الذكر:

انتشرت حلقات الذكر في البيئة الصوفية واختلفت أراؤهم في طريقة الذكر، وذلك لأن لكل منهم فهمه للنصوص القرآنية والاحاديث النبوية، وقد حث المولى سبحانه وتعالى في كتابه العزيز على الذكر وما أعد للذاكرين من فضل في الدنيا والآخرة حيث قال



﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(19)</sup>، وقال ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(20)</sup>؛ والآيات التي تحت على الذكر كثيرة في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقعد قوم يذكرون الله ألا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(22)</sup>.

ومن هذه انطلق الصوفية يعقدون حلقات أذكارهم فيذكرون الله تعالى بشتى أنواع الذكر فمنهم من اختار الآلات الموسيقية تصحب الذاكرين ومنهم من لزم الذكر المفرد ومنهم من ذكر بالجمل ومنهم من اتخذ القرآن ذكره وغيره من أساليب الذكر، ويقول الأستاذ التفتازاني «إن الصوفية درجوا منذ القديم على أن يبدأوا مجالس الذكر بـ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وتعرف عندهم بالأرضية ثم ينتقل بهم من مقام إلى مقام..<sup>(23)</sup> وهذا ما كان للشيخ علي أمين سيالة فقد كان يعقد حلقة الذكر في الاسبوع مرة وهي ليلة الجمعة بعد قراءة العقيدة فيقول الشيخ أو رئيس الحلقة الحديث النبوي «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»<sup>(24)</sup> أو كما قال فيقول الحضور: (لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ثم يذكرون (لا إله إلا الله) فقط ثم يذكر الاسم مفرداً (الله) ويختتم هذه الطبقة أو الصيغة بقوله - لا إله إلا الله - إشارة لانتهاء الطبقة، ويقوم أحد المنشدين بعمل انشاد في مقام موسيقى يكون موضوعة ابتهالاً، أو مديحاً، أو يكون من أشعار الصوفية في الحب الإلهي، والخمرة الإلهية، وعندما يكمل الانشاد يقول المنشد (مدد عظيم) وهي إشارة لانتهاء ويقول متولي الحلقة طبقة أخرى كقوله مثلاً (لا إله إلا أنت يا حي يا قيوم) ثم ينتقل إلى قوله (يا حي يا قيوم) فالمفرد فيقول



(قيوم) أو (الحي) وهكذا يختتم الطبقة، وينشد منشد آخر وتعمل طبقة أخرى وأثناء عملية الذكر يقوم أحد الحضور بالترنم ببعض القصائد المغناة في مدح الرسول.

ولقد كان ذكر الزاوية القادرية بنوعين؛ ذكرٌ يعتمد فيه على الجمل كالتى ذكرناها، وآخر ذكر مفرد، وكان ينهي مرديده عن اللحن والخطأ، وكثرة التمايل والذكر بصوت عال، وللشيخ قصائد نظمها في أدب الذكر وأوصافه، وأجر الذاكرين وبما خصهم مولاهم بالفضل والعناية، ولعل أهم قصيدة في الذكر المسماة (تنشيط العشاق في ذكر الخلاق) وهي من النظم الدوبيتي<sup>(25)</sup>:

|                |                |
|----------------|----------------|
| ربنا مولانا    | ذكره مُنْنا    |
| يشرح الجَنائنا | ويجلب الغفرانا |

\*\*\*

|                  |                   |
|------------------|-------------------|
| تدبروا في المعنى | تثبتوا في المبنى  |
| إياكم والحننا    | ولازموا الإتقاننا |

\*\*\*

|                   |                  |
|-------------------|------------------|
| ولاحظوا الدلائل   | وطهروا الشمائل   |
| لا تكثروا التمايل | وطيبوا الأبداننا |

\*\*\*

وبعد ثلاث طبقات أو أربع من الذكر، يتلو أحد المقرئين آيات من القرآن الكريم، ثم يقومون جميعاً بإنشاد جماعي لقصيدة<sup>(26)</sup>:

|                |               |
|----------------|---------------|
| يا رفيع الشأن  | يا أبا الزهرا |
| جد لي بالإحسان | هَب لي قدرا   |



وفي أثناء الإنشاء ينتقل الذي على يسار الشيخ مُسَلِّماً ومصافحاً على الشيخ، ويقف على يمينه والذي يليه بطريقة دوران، ثم تقرأ سورة الفاتحة، ويذهب كلٌّ إلى حال شأنه؛ ليخلد إلى النوم مبكراً؛ لكي يقوم صباحاً لصلاة الفجر نشيطاً إلى يوم جديد.

#### رابعاً - الأغنية الملتزمة:

لاحظنا في الصفحات السابقة أثر الشيخ علي أمين في الحياة الدينية من إصلاح العقيدة وأعماله في الزاوية القادرية، فماذا كان الشيخ من أثر في الحياة الاجتماعية؟

لو استعرضنا أعماله لكان أول ما يبدو لنا تلك الأغنية الملتزمة التي ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في ليبيا، وبعض دول الوطن العربي، على أيدي رجال لهم باعٌ طويلٌ وخبرة في النظم والموسيقى والإيقاعات مثل جمال الدين الميلادي (1881 - 1963)<sup>(27)</sup> الذي قام بمعارضة معظم الأدوار المصرية صاحب سفينة الأفراح، وكان الشيخ علي أمين من أوائل الذين عارضوا الأغاني وبعض نصوص المألوف<sup>\*</sup>، وقاموا بتأليف نصوصٍ للأغنية الملتزمة.

وكما نعلم أن الشيخ علي أمين وجمال الدين الميلادي هما من مريدي الزاوية القادرية، ومصطلح المعارضة في فن الشعر هو أن ينظم الشاعر قصيدة يحاكي فيها قصيدة أخرى في الوزن والقافية ونارة في المعنى، وهو غير مطلوب وأشهر قصيدة نالت من الشعراء اهتماماً بالمعارضة هي قصيدة «يا ليل الصب متى غده» للحصري القيرواني<sup>(28)</sup> والبردة للبوصيري<sup>(29)</sup>.

لقد حاول الشيخ أن يلفت انتباه الناس للطريق المرتضى عند مليكهم، بشتى الطرق والأساليب، فانظر كيف يحور المعاني الفاسدة



في الأغاني الشعبية، إلى قصائد في مدح خير البرية، فتطفئ الثانية على الأولى فتنسى، ومن ذلك ما وقع في شارع ميزران بزئقة النعوش في قضية أخلاقية وقتل فيها امرأتان و غلام أسمر فنظمت القضية في زجل شعبي، ينسبه بعضهم إلى الفنان بشير فهمي (افحيمة) يقول مطلعها<sup>(30)</sup>:

صارت عملة في الأوطاني      في شارع ميزران  
ذبحوا زوز نعاج كبار      وخريف سوداني

وانتشرت هذه المقطوعة الطويلة فهي أكثر من هذه الأبيات؛ لأنه حدث وكل زجال يحاول النظم فيه؛ ويرى الشيخ علي أمين من أحوال الناس لصدى هذه الواقعة، وكانت تغنى على لحن موسيقى من مقام البياتي، فلما كثر انتشارها نظم الشيخ علي أمين قصيدة على نفس الوزن الموسيقي<sup>(31)</sup>:

إنني محب فاني      في هوى العدناني  
تاج الأنبياء طه      معدن الاحسان

ويمر الشيخ علي أمين بين تلك الحوانيت والمحلات التي توجد بها المعامل التقليدية لصناعة الحرير، ويسمع أغنية كانت ترددها أم لولدها تنصحه فيها عن ترك شرب اللاقي - وهو عصير يجنى من جمار النخل، وإذا ما ترك يوماً أو عرض للشمس أصبح مسكراً - فتنهاه وتزجره بيت من الزجل ويبدو أن صناع الحرير، قد أعجبوا بهذا اللحن فصاروا يرددونه أثناء عملهم والبيت يقول<sup>(32)</sup>:

مانى قتلك يا علي      ما تشرب اللاقي

فقال الشيخ معارضاً لهذا اللحن قائلاً بقصيدة نبوية مطلعها<sup>(33)</sup>:

نور الهادي قد لاح لي      والمنى قد تم لي



ويقوم الفنان الليبي بشير فهمي بنظم زجل وتسجيله في  
اسطوانات وانتشرت ومطلع الأغنية يقول<sup>(34)</sup>:

يا كحلة يا بنت عمي ....

ويلتقى الشيخ علي أمين في الطريق مع بشير فهمي، فلم يلمه  
وبعابه علي الأغنية، وإنما قال له: لقد أعجبتني الأغنية التي سجلتها  
مؤخراً، فأراد بشير فهمي أن يذكرها للشيخ، ولكن الشيخ سبقه  
بالكلام وقال له التي أولها<sup>(35)</sup>:

يا كعبة يا بيت ربي مبهاكي      الله يسعد كل من أتاكي.

فسكت بشير وأخذ القصيدة من الشيخ، ورمى بالأغنية جانباً،  
وانتشرت وعمت الأخرى وطغت على الأولى.

لقد كان الشيخ علي أمين مصلحاً اجتماعياً يعرف الداء فيصف  
له الدواء بحكمته الكبيرة؛ فلو شاهدنا في عصر مضى دخول العريس  
ليلة زفافه لتأسفنا على ما يفعل الجهلة، فما أن يدخل العريس حتى  
يقوم أصحابه بغناء بعض الأغاني البذيئة التي لا مجال لذكرها هنا،  
ولكن الشيخ برأيه السديد حاول أن يمنع هذه الظاهرة فكان ذات  
زفاف موجوداً ولما دخل العريس حاول بعض أصحابه أن يتغنوا  
بتلك الأغاني المعهودة ولوجود الشيخ؛ امتنعوا احتراماً له وتوقيراً؛  
فاغتتم الشيخ هذه الفرصة فقال لهم (صل يا مصلى على الزين)،  
وصار يكررها وهم يكررونها معه، فصارت عادة لديهم والمقصود  
بالزين هو النبي صلى الله عليه وسلم فهو زين الأنبياء والمرسلين<sup>(36)</sup>.

إن الشيخ علي أمين لا يرى للإصلاح مكاناً محدداً في مدرسة  
أو زاوية بل يراه في جميع الأماكن ولجميع الناس بدون تفريق، ومن  
عادات أهل طرابلس في أفراحهم احضار الزمزمات للغناء في  
الأفراح، وطالما رددن الأغاني البذيئة والحق حتى في عصرنا هذا ما



زالت الزمزمات يغنين أغاني ذات الألفاظ الفاحشة، والمعاني الخليعة  
وكن ينظمن الأغاني على الحوادث التي تحدث قبيل ذاك الفرح.

وذاث يوم كان الشيخ علي أمين ماراً بإحدى طرقات المدينة  
القديمة، وإذا بأحد بيوتاتها فرح، والزمزمات يضربن الدفوف، وينقرن  
الطيران، ويزغردن بأعلى أصواتهن، وكان صاحب الفرح أمام بيته  
حارساً ينظر من يأتي ومن يذهب، وإذا بالشيخ يقترب من ذلك البيت،  
وما أن لمح الرجل حتى دخل ليسكت الزمزمات، ويقول لهم اصمتوا  
الشيخ سيالة مار على هذا الطريق، وخرج وقام بتحتيته، وقال له هذا  
فرح دعهم يغنين ويفرحن واعطهم هذا الكلام وقال له قصيدة مطلعها:

(أول بداية نقول يا بسم الله) واستمرت هذه بدايتهم في كل  
فرح. وهذه الزوايا الصوفية الوارثة لتراث الفن الأندلسي وهي تترنم  
بأشهر نوبة مالوف من إيقاع برول وهي نوبة من مقام الحسين<sup>(37)</sup>:

آه يا مدعى في الحب مهلاً وأنا واقف أعلمك أصل الخبر

وما زالوا يرددونها حتى يومنا هذا فأعجب الشيخ باللحن  
فحاول معارضته بأبيات صارت قصيداً تقال في أثناء قصة المولد  
الشريف وهي<sup>(38)</sup>:

الله الله ليس لى مولى سواه هو حسبي وكفى أنى آراه

### قضايا اجتماعية أخرى

ومما يروى أن رجلاً جاءه يشكو له سوء حاله وفقره وقلة  
ماله، وتحصل على قرض من يهودي مرابٍ بالفائدة؛ ليبنى به بيتاً  
صغيراً يأويه وبنيه؛ فلم يقابله الشيخ بأسلوب التعنيف؛ فلم يقل له  
إن أخذك للقرض بالفائدة حرام وعقاب ذلك النار وغيرها من  
أساليب التهيب المستعملة عند بعض شيوخ عصره فقال له: يا بني



حقك أن تسكن أنت وأهلك بيتاً وانطلق معه في رحاب القرآن بقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(39)</sup> فقال له: إذا جاءك عدو مدجج بالسلاح وأنت أعزل منه فهل تستطيع أن تغلبه فقال الرجل لا فقال له: هل تستطيع إذا محاربة الله ورسوله فسكت الرجل وقال له: قد رضيت بالكوخ الذي أسكنه الآن وحتى يرزق الله وهكذا بأسلوبه الحكيم منع الرجل من تعامله بالربا ومنع عنه الوقوع في الحرام.

لقد اتخذ الشيخ علي أمين الإصلاح دينه متخذاً منهجه فيه الكتاب والسنة ركيزة لذلك الإصلاح، ففرى أنه أبدل بعض الألقاب البذيئة عن كثير من الناس كما أبدل بعض الألقاب وأسماء العائلات ونسبها لمدنها كمن يحمل اسم محمد أو علي وينسب لعائلة لقبها لا يليق بشرف اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فكان بأسلوبه الجميل يحوره ويرضاه الشخص والناس ومنهم المرحوم الفنان محمد سليم (1905 - 11/9/1994 إفرنجي) وصار اسماً له<sup>(40)</sup>.

ومما يروى أن خليفة زريق والد الشيخ محمد زريق كان له مقهى، وكان يحاول أن يعلم ابنه محمداً هذه الصنعة، والشيخ يمر ويرى الطفل فيقول لوالده يا خليفة هذا ليس مكان محمد دعه يذهب لكتاب حورية مرات ومرات، فلما أبى خليفة زريق جاء الشيخ علي أمين ذات صباح، وأخذه من يده وحمله لكتاب حورية وسلمه للشيخ مختار حورية، وأوصاه به خيراً<sup>(41)</sup>.

#### النظافة:

كان بعضهم لا يبالي بالملابس التي يلبسها نظيفة أم متسخة،



فالحال عنده سواء فحث الشيخ علي أمين سيالة على النظافة وليس بالشرط أن يلبس الإنسان ملابس راقية وغيرها فهناك درجات في تلك الملابس فلو أن الرجل أخذ أقل درجة، وهي نظيفة أفضل له من أن يكون ذا ملابس غير نظيفة، ولأن الإنسان المسلم يحتاج النظافة في صلاته ومناسك دينه فلا تقوم الصلاة إلا بالطهارة، فأخذ الأهالي برأى الشيخ في حسن الهيئة والمظهر من اللباس المتواضع<sup>(42)</sup> .

### الدخان:

أما قضية الدخان التي انتشرت انتشاراً واسعاً فنجد بعضهم برغم حالته المعسرة وفقره إلا أنه يشتري الدخان ويشربه، وحاول الكثير من الشيوخ النهي عنه والتعنيف على من يشرب الدخان، فالدخان مسرف لمال الرجل مهلك لصحته ويعود ذلك على أبنائه بسوء الحالة المعيشية وقال بعضهم<sup>(43)</sup>:

يا شارب الدخان إنك للهوى تبلغ  
لو أكلت به خبزاً لكان لبطنك أشبع  
أو شربت به زيتاً لكان لنفسك أقنع

أما الشيخ علي أمين فإنه كان يقوم بالنصيحة المليحة بالوعظ والارشاد بأسلوب لين رقيق، فينادى على المدخن الذي يجده بالشارع فيقول له: يا بني ما فائدة الدخان إنه إسراف لمالك، مضر لصحتك، فلو أدّخرت ما تصرفه على الدخان، لكان أفضل لك ولأهلك، أو وسعت به عليهم؛ فاشتريت لهم فاكهة وخضروات أو لحماً لكان لك ولهم أنفع، فمنهم من يقبل الكلام بدون مجادلة ويرمى بالدخان، ومنهم من يقول: أدع لنا أن نترك هذا السم وغيرها من ردود هؤلاء المدخنين.



وإنه لموضع تلك الكلمة وأهل لها وهي قولة الحاج أحمد عزوز وهو من أكبر تلاميذه الباقيين علي قيد الحياة «إنه رجل فريد في عصره، ولن يأتي الزمان بمثله، ذو أخلاق عالية، قام بتربية جيل من أجيال هذا الشعب عندما انعدم التعليم وعم الجهل بين أفراد».

وقال عنه المرحوم الأديب الفاضل السيد أحمد راغب الحصائري: «كان الشيخ علي أمين نعمة لهذه البلاد بنصحته وارشاده العباد إلى طريق الحق والرشاد».

وقال الاستاذ الفاضل المرحوم إسماعيل السويح عنه: «إنه مربٍ عظيم وديدنه التربية والاصلاح».

ويقول الاستاذ الكبير والعلم الشهير الشيخ محمود المسلاتي عن الشيخ علي أمين ويصفه بهذا القول (إن الشيخ علي أمين سيالة كان شيخ عصره».

وفي ختام بحثي هذا آمل أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع ولعلي أختتم. الموضوع بأبيات شعر أظن أنها قيلت في رثاء الشيخ علي أمين كتبت بعد الدور الثالث من الحكم<sup>(44)</sup>:

إن غاب جسم الشيخ عن أبصارنا  
فألروح تأتي في محل طريقته  
فتمتعوا بنفائس التأليف من  
نظم ونثر كلها من نسخته  
فادعوا إلى الأستاذ في صلواتكم  
كي يسكن الجنان ضمن أحبه  
والحمد لله في بدء وفي ختم

عبد الستار العريفي بشييه

1998 / 7 / 5



- (1) القصيدة المنفرجة للإمام ابن النحوي التوزري ونسبت لتاج الدين السبكي طبع بعد دلائل الخيرات مكتبة المنار لصاحبها التيجاني المحمدي نهج الكتبية رقم 8 تونس، وهناك المنفرجة لأبي حامد الغزالي وهي تختلف عنها أولها (الشدة أودت بالمهج XXX فعجل بالنصر وبالفرج) أما ابن النحوي فأولها (اشتدي أزمة تنفرجي XXX قد أذن ليلك بالبلج) وهناك منفرجة أخرى للشاعر عبد الغني النابلسي، وقد شكلت المنفرجة ظاهرة شعرية في الأندلس. أنظر كتاب القصيدة الأندلسية د. عبد الحميد الهامة منشورات كلية الدعوة الإسلامية. ص 293/ج 2.
- (2) انظر زعماء الإصلاح أحمد أمين.
- (3) أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الظاهر بن عاشور - ومقالة د. محمد مسعود جبران مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد 5.
- (4) رسالة دكتوراة مقدمة من د. المقطوف عبد القادر المقطوف بكلية التربية. جامعة الفاتح.
- (5) انظر كتاب د. محمد مسعود جبران. منشورات مركز الدراسات التاريخية ط 2، 1996.
- (\*) المصدر نفسه ص (113 - 134) تلاميذه.
- (6) نقلاً عن الشيخ إبراهيم زكي بانون كان يدرس معه بمدرسة أحمد قنابة الآن سنة 1952.
- (7) في مقابلة شفوية أجريتها معه يوم الجمعة (10 - 1 - 1992) انتقل إلى جوار ربه يوم المولد النبوي 12 ربيع الاول الموافق 10/9/1993.
- (8) نقلاً عن الحاج أحمد التركي أحد تلاميذ تلك الفترة وهو من سكان تاجوراء الآن.
- (9) انظر كتاب الشيخ أحمد القطعاني عن الشيخ الكامل ص 60 دار الكتاب الليبي باشتراك.
- (10) هو حزب توحيد ألفه الشيخ الجزولي لمريديه وانتشر على يد تلميذه الشيخ بن عيسى ويسمى عندهم بالحزب الكبير. وقد علق عليه الشيخ أحمد القطعاني في الكتاب نفسه من ص 171 - 184.
- (11) المصدر نفسه ص 174.
- (12) جمع وترتيب السيد الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري.
- (13) المصدر نفسه ص 38.
- (14) م. ن ص 42.
- (15) جهاد الأبطال ص 43.
- (16) من الآية 125 سورة النحل.
- (17) حديث شريف، رياض الصالحين للإمام النووي - رواه مسلم. ص 307/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر.



- (18) ج 3 ص 51.
- (19) من الآية 152 سورة البقرة.
- (20) من الآية 35 سورة الأحزاب.
- (21) حديث قدسي. في ملكوت الله - عبد المقصود محمد سالم ص 36.
- (22) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين) رواه مسلم. محيي الدين النوري ص 459.
- (23) التصوف الإسلامي، زكي مبارك ص 222.
- (24) إحياء علوم الدين للغزالي ص 254 ج 1.
- (25) عقيدة الأكابر طبعة 1997 ص 20.
- (26) المصدر نفسه ص 36.
- (27) أنظر جمال الدين الميلادي أ. علي مصطفى المصراطي وانظر ببلوغرافية النصوص به ص 139 ط الأولى فهي تزيد عن المائة وعشرين عملاً.
- (28) انظر كتاب يا ليل الصب متى غده ومعارضتها. نشر الدار العربية للكتاب ليبيا/ تونس.
- (29) منها ما عُرف بالبديعيات ونهوج البردة.
- (30) هكذا سمعتها عن أكثر من راو. بشير فهمي زجال ليبي مشهور، كتب عنه عبد الرزاق أبو قرين كتاب ذكر فيه حياته وبعض آثاره.
- (31) مستعملة ضمن القصائد المولدية. سمعتها مرار من الشيخ فاتح النعال. والشيخ عبد القادر الجزيري.
- (32) سمعته عن أخي وصديقي محمد محمد عموش أحد المادحين، ولم يسند روايتها، لفظة - ماني قتلك - بمعنى ما أنا قلت لك وتستعمل باللهجة الليبية كما أوردناها.
- (33) قصيدة مستعملة في مقامية الراست في تحليل القصة البرزنجية.
- (34) نقلاً عن الحاج الطيب عبد الرحمن بن علي أمين سيالة رحمه الله.
- (35) المصدر نفسه.
- (36) نقلاً عن الحاج شعبان النجار رحمه الله (ت 21/6/1994).
- (37) الدرة النفيسة في مديح الشيخ ابن عيسى ص 206 1349 هـ ط 2 - تونس.
- (38) نقلاً شفويًا بالسماع عن الشيخ فاتح النعال رحمه الله والشيخ عبد القادر الجزيري.
- (39) من الآية (278، 279) سورة البقرة.
- (40) خبر متواتر ومشهور بين الناس ومنهم الحاج الطيب سيالة وغيره.
- (41) نقلاً عن الحاج محمد الوراق.
- (42) نقلاً عن الشيخ إبراهيم زكي شيخ الطريقة العيساوية بالزاوية الكبيرة طرابلس.
- (43) سمعتها من الشيخ فاتح النعال غفر الله له.
- (44) أظن أنها من نظم السيد أحمد قنابة. كتبت في نهاية الدور الثالث من الحكم السيلية.